الفصل العاشر

سقوط القسطنطينية والعلاقات بين جمهورية جنوى والدولة العثمانية بعد سنة 1453م

اعتبرت دول أوربة اللاتينية سقوط القسطنطينية كارثة كبرى لدرجة أن بكولوميني Piccolomini الذي أصبح فيما بعد البابا بيوس الثاني، أعلن أن الكنيسة فقدت بسقوط القسطنطينية إحدى عينيها[1]. وقد هزت الدماء التي أريقت بعد اقتحام العثمانيين للمدينة مشاعر أولئك المعاصرين الذين شهدوا بأم أعينهم الدماء تجري في الشوارع وأجسام القتلى الطافية على مياه الدردنيل وهي «منتفخة كالبطيخ» كما وصفها أحد الشهود العيان[2].

دفع فتح القسطنطينية الدول الغربية التي انتابها الذعر، إلى المناداة بالتضامن للتصدي للخطر التركي الذي بات يتهددها[3]، إلا أنها عجزت عن اتخاذ موقف عسكري موحد. والحق أن فتح

القسطنطينية لم يؤثر كثيراً في العلاقات التجارية والاقتصادية فالتجارة من الأنشطة الإنسانية لم تفتر حتى في الأوقات الصعبة. فحينما كان الأتراك يستجمعون قواهم خارج أسوار القسطنطينية كان التاجران روفائيل فجيريو وميشيل ناتونو يتناولان طعام العشاء بهدوء على متن إحدى السفن[4]. أما أرون مايايلو الذي كان يراقب عن كثب طلقات المدافع العثمانية وهي تتساقط على السفن الراسية في ميناء القسطنطينية، فقد علق بقوله: «أخشى أننا سنفقد السفينة والأسماك أيضاً»[5]!

اتَبع محمد الثاني (محمد االفاتح) سياسةً مبنيةً على وجوب استمرار العلاقات الاقتصادية مع الدول اللاتينية نظراً لأهمية التواصل التجاري. وهناك شبه إجماع على أن فتح القسطنطينية سنة 1453م لم يؤدي إلى توقف النشاط التجاري القائم بين الدولة العثمانية وأوربا الغربية[6]، إلاَ أن بعض الباحثين يرى أن النشاط التجاري بين الدولة العثمانية والغرب أخذ يضمحل بعد سنة 1453م[7]. والملاحظ أن سيل الوثائق والسجلات الجنوية المتعلقة بالتبادل التجاري مع الدولة العثمانية بدأ ينضب في نهاية القرن الخامس عشر[8].

وإذا كان نشاط التجار الغربيين في الأراضي العثمانية قد بدأ يتقلص في نهاية القرن الخامس عشر، فهذا لا يعني بالضرورة أنه نجم عن سقوط القسطنطينية أو عن السياسة التي انتهجها محمد الثاني.

وعموما لا نجد في الأدلة المتوافرة ما يدعوا إلى القول أن فتح القسطنطينية في حد ذاته قد أدى إلى تراجع التجارة بين الغرب والدولة العثمانية. ولا يجب أن ننسى أن العثمانيين ضموا إلى ممتلكاتهم أقاليم بقيت لسنين عديدة مسرحاً للتجار الجنويين. في نهاية القرن الرابع عشر ضم السلطان بايزيد إمارتي منتشا وآيدين، وكانت هاتان الإمارتان قد منحتا التجار الغربيين ميزات خاصة بقيت نافذة المفعول بعد انتقال السلطة إلى العثمانيين. ومن ناحية أخرى لا نلاحظ أية انعكاسات سلبية على التجارة القائمة مع الغرب حتى بعد سقوط سالونيك بيد العثمانيين سنة 1430م. ولا غرو فقد كان دخل الدولة من عائدات التجارة لا يستهان به ومن الطبيعي أن تسعى الدولة العثمانية لإبقاء القنوات التجارية مفتوحة. ويرى فرانز بابنجر أن التوسع العثماني كان مفيداً للتجارة الدولية من حيث أنه أدى إلى توحيد الرسوم الجمركية واختصار المعاملات التجارية، إذ أصبح الأناضول كتلة واحدة متجانسة بعد أن كان مجموعة من الدويلات أو الإمارات المستقلة سياسياً[9].

يذهب البعض إلى أن استيلاء الأتراك على المستعمرات الجنوية في شرق وشمال شرق المتوسط قد أدى إلى توقف النشاط التجاري لجنوى في المنطقة. لاشك أن خسارة الجنويين لقواعدهم التجارية قد أثر سلباً على النشاط التجاري للجنويين ولكن ليس بالقدر الذي نتصوره، إذ بقي التجار اللاتين يمارسون أنشطتهم التجارية مع دولة المماليك علماً بأنه لم يكن

لهم أية مستعمرات أو قواعد في تلك البقاع. وعلى أية حال فقد بقيت خيوس بيد الجنويين حتى أواسط القرن الخامس عشر وكانت من أهم المراكز التجارية في شرقي المتوسط.

إن الأدلة المتوافرة لا توحي بأن فتور النشاط التجاري للجنويين يرجع إلى توسع العثمانيين، يبقى السؤال المطروح: هل كان لسقوط القسطنطينية وسياسات محمد الثاني أثراً سلبياً على النشاط التجاري للجنويين في الإمبراطورية العثمانية؟

أعقب سقوط القسطنطينية نزوح الكثير من التجار إلى الجزر المجاورة مثل خيوس[10]، وواكب ذلك نهب البضائع والمستودعات الجنوية في بيرا من قبل المقاتلين الأتراك المتقدمين وقد شارك في السرقة والنهب بعض أفراد الجالية الأوروبية المقيمة في المدينة. وفي أوائل سنة 1454م أوعزت الحكومة الجنوية إلى سفرائها لدى العثمانيين بمحاولة التوصل إلى اتفاق يضمن حصول الجنويين في بيرا على تعويضات مقابل خسائرهم[11]. لا شك أن عمليات النهب والسلب التي قام بها المقاتلين الأتراك أشاعت الفوضى واللصوصية، فعلى سبيل المثال ادعى جيوفاني كانيتا أنه باع بعض النبيذ العائد لِ ميشيل ناتونو بحجة أنه لو لم يفعل ذلك لأخذه الأتراك عنوة[12]. وثمة أدلة أخرى على أن اللاتينين أيضا شاركوا في نهب بضائع وممتلكات بني قومهم[13][14].

أسفر فتح القسطنطينية عن نزوح سكاني إلى خارج المدينة

هرباً من الموت أو الوقوع في الأسر[15]، كان التجار الجنويون وأتباعهم وموظفيهم في طليعة النازحين الذين هرعوا إلى الميناء بحثاً عن سفينة تقلهم إلى موضع آمن، بعد أن خلَفوا ورائهم بضائعهم وممتلكاتهم[16]. وتذكر المصادر أن محمد الثاني دخل بيرا بعد خمسة أيام من سقوط المدينة ليجد أن كثيراً من المقيمين فيها قد ولوا الأدبار[17]، وتشير الوثائق إلى إعدام عدد من المسؤولين الجنويين بالإضافة إلى القنصل الكتلوني (نسبة إلى كتالونيا ـ اسبانيا ـ المعرب) وستة أو سبعة أفراد من بني قومه[18]. على حين بقيت بيرا بدون بودست وبدون أية مراجع قضائية[19]. ليس مستغربا في ظل هذه الفوضى العارمة أن تتوقف حركة التجارة ولو مؤقتاً.

ونتيجة لتردي الأوضاع في بيرا أصبح الجنويون في خيوس ومايتلين يتوجسون شراً من النوايا العثمانية[20] وبات التجار يخشون متابعة تجارتهم المألوفة عن طريق مستعمرتهم في بيرا، إذ أصبحوا لا يأمنون على ممتلكاتهم وبضائعهم في المستعمرة ناهيك عن سلامتهم الشخصية[21]. مما حدى بالسلطات في جنوى إلى الشكوى من سوء معاملة الأتراك للرعايا الجنويين إلى حد أنها فكرت في قطع العلاقات الدبلوماسية مع العثمانيين[22]. وحتى بعد مضي سنتين على سقوط القسطنطينية، نجد أحد الجنويين يحث تاجراً جنوياً على مغادرة بيرا نظراً للأوضاع الخطرة السائدة آنذاك[23].

لا شك أن مشكلات كثيرة واجهت التجار الجنويين بعد سقوط القسطنطينية، لكن هذه المشكلات لم تكن جديدة. فهناك أدلة منذ سنة 1381م على أن التاجر العامل في بيرا والأقطار التركية عموماً كان يواجه مخاطر مماثلة[24]. على الرغم من التقلبات التي طرأت على الحركة التجارية ـ بعضها لعوامل طبيعية مثل تفشي وباء الطاعون الشهير[25]، فقد استمر التجار الجنويين واللاتين يترددون إلى الأراضي العثمانية بعد سنة 1453م[26] ويبدو أن أولئك اللذين نزحوا بعد سقوط القسطنطينية عادوا لمزاولة نشاطهم التجاري من جديد[27] والجدير بالذكر أن الكثير من التجار الذين أُسروا افتدوا أنفسهم بالمال. ومن الأمثلة على ذلك أن المدعو توماسو دي كابرياتا الذي أسره الأتراك يوم الثلاثاء، 29 أيار / مايو استطاع أن يفتدي نفسه بعد يومين اثنين[28]. وكذلك جيوفاني[29]. وبالرغم من الفوضى وانعدام الأمن فقد استطاع البعض إنقاذ ما يمكن إنقاذه[30][31] وفي الوقت نفسه لم تتوقف المعاملات التجارية بالكامل[32]. ومما يؤكد ذلك تصدير كمية من الحبوب من اليونان ومقدونية إلى القسطنطينية وبيرا قبل نهاية عام 1453م[33]. وفي بداية سنة 1454م نلاحظ عودة تصدير حجر الشب إلى جنوى[34]، كما صدرت تعليمات إلى التجار الجنويين سنة 1454م بتصدير أقصى ما يمكنهم من الحنطة[35] وعادت الحياة شيئاً فشيئاً إلى بيرا حيث أخذت الجالية الجنوية تستعيد نشاطها التجاري السابق[36][37].

شارك الأتراك في إعادة إحياء حركة التبادل التجاري بدءاً ببيع ما بحوزتهم من الأسرى[38]. من الواضح أن العلاقات التجارية بين الجنويين والأتراك لم تنقطع بالكامل بعيد سقوط المدينة. وهناك وثيقة تبين أن صوباشي القسطنطينية سليمان بك رفض قبول حوالة (كتاب اعتماد) بمبلغ 3467 هايبربِرون لتغطية نفقات نقل كمية من الحبوب إلى القسطنطينية أو بيرا. لا توضح الوثيقة دور الصوباشي في الموضوع ولكن يبدو أنه كان مراسلاً لأحد التجار[39]، علما بأن كلمة «صوباشي» تدل على منصب إداري عال[40]، وهذا يدل على أن شيئاً من التواصل التجاري بقي قائماً. وتُظهر الوثائق أن جيوفاني كانيتا عاد إلى بيرا بعد سقوط القسطنطينية بفترة وجيزة واستأنف نشاطه التجاري مع الأتراك[41].

خلاصة القول أن الأرشيف التجاري لجمهورية جنوى يبين أن التواصل التجاري لم ينقطع مع الأتراك بعد فتح القسطنطينية، بيد أن الوثائق نفسها لا تدل على حجم التبادل التجاري بين الغرب والعثمانيين بعد فتح العثمانيين للمدينة، لكنها على الأقل تبين أن محمد الثاني لم يبادر إلى اتخاذ إجراءات معادية من شأنها تقييد حرية التجارة بالنسبة للتجار الغربيين العاملين في أراضي الإمبراطورية العثمانية، والحقيقة أن المصادر العثمانية تؤكد على استمرار النشاط التجاري للتجار اللاتين في عهد محمد الثاني[42].

لا ريب أن العلاقات الجنوية ـ العثمانية كانت تقوم على المصلحة المتبادلة بين الفريقين. كان الجنويين «براغماتيون» في تعاملهم مع الأتراك، لا سيما وكثيراً ما كانت علاقاتهم تخضع للسلطات المحلية في المستعمرات الجنوية مثل بيرا وخيوس، بمعزل عن السلطة المركزية في جمهورية جنوى[43]. من هنا نلاحظ طغيان المصالح التجارية وحرص الطرفين على عدم التفريط بهذه المصالح، بدليل أن الجنويون حافظوا على علاقاتهم مع الأتراك في الوقت الذي وقفوا إلى جانب المدافعين عن القسطنطينية إبان محنتها، وفي الوقت نفسه نجدهم يبعثون برسلهم إلى السلطان في أدرنة للتعبير عن حسن نواياهم إلى حد إمداد المعسكر العثماني بالشحوم (لتشحيم المدافع التركية) ويبدو أيضا أنهم أفشوا المخطط الذي أعده لونغو جستنياني لإضرام النار بالسفن التركية[44]. وعندما أغرقت المدافع التركية سفينة جنوية محملة بالبضائع في طريقها إلى جنوى، احتج التجار على هذا العمل لكن الأتراك عللوا ذلك بأنهم ظنوا السفينة إحدى سفن العدو ووعدوا التجار المتضررين بتعويضهم بالكامل[45]. والواقع أن الجنويين كانوا يسعون لأن تبقى بيرا في حوزتهم بعد سقوط القسطنطينية حتى وإن اضطروا إلى دفع إتاوة لهذا الغرض. كان شغلهم الشاغل في تلك الفترة ضمان حرية التنقل وخاصة من وإلى شواطيء البحر الأسود[46].

كان السلطان محمد الثاني من جانبه يدرك أن مصلحته تقضي

بأن تبقى القنوات التجارية مع الجنويين مفتوحة[47]. وفي السنوات الأولى لحكمه استقبل البلاط العثماني عدداً من السفراء الجنويين كممثلين عن الجاليات المقيمة في خيوس وبيرا ومايتلين وفي رودس معقل الاسبتارية، وكلٌ منهم يحمل الهدايا للسلطان ويطمح إلى إبرام اتفاقيات تجارية مع السلطنة العثمانية[48].

وتشير الوثائق إلى أن الصدر الأعظم زغانوس باشا حاول إقناع الجنويين بالبقاء في مستعمراتهم السابقة مؤكداً لهم النوايا الطيبة للسلطان وواعداً إياهم بمنحهم تسهيلات أفضل من تلك التي منحهم إياها الإمبراطور البيزنطي[49]. والجدير بالذكر أن السلطان محمد أمر بعد دخوله بيرا بإحصاء العقارات والممتلكات داخل المستعمرة وتعهد بإرجاع كافة الممتلكات إلى أصحابها إذا عادوا إلى المدينة في غضون ثلاث أشهر[50]. كان السلطان محمد الثاني يهتم بصورة خاصة بتشجيع التجارة إدراكاً منه للأرباح التي كانت الدولة تجنيها من جراء ذلك. وهذه الحقيقة لم تخفى على السفيرين الذين بعثت بهما جنوى إلى البلاط العثماني سنة 1454م بغية إقناع السلطان بإعادة بيرا إلى الإدارة الجنوية بحجة أن الوضع الراهن لا يخدم مصلحة السلطان أو الجنويين، موضحين أن المدينة ستعود إلى الازدهار من جديد في ظل الإدارة الجنوية مما سيعود بالفائدة على الدولة العثمانية ويُمكّنها من استيراد السلع التي دأب الأتراك على استيرادها من الغرب[51].

والحق أن محمد الثاني منح الجنويين وغيرهم من البلاد اللاتينية امتيازات تجارية، لعل أهمها المرسوم السلطاني المعروف بـ «أمان نامة» الذي يسمح للجنويين في بيرا بالتجارة بحرية في كافة أراضي السلطنة بالإضافة إلى إعفائهم من الضرائب باستثناء الخراج، وسمح لهم أيضاً بالرجوع إلى محاكمهم الخاصة لفض النزاعات التجارية، وبحرية السفر والتنقل في أرجاء الإمبراطورية شريطة أن يتقيدوا بالأنظمة المعمول بها[52]. والواقع أن هذه الامتيازات شملت أيضا رعايا البندقية وتجارها بحسب النصوص الواردة في اتفاقية 1454م والاتفاقية التي تلتها سنة 1479م والتي وضعت نهاية للحرب التي اندلعت بين البندقية والأتراك سنة 1463م[53] واستمرت زهاء ستة عشر عاما، مما أضعف موقف البندقية التفاوضي؛ ورغم ذلك لم يتردد السلطان محمد في منح البندقية بعض الامتيازات التجارية للحفاظ على علاقاته التجارية مع الغرب حتى في الأوقات التي كانت فيها الدولة العثمانية الطرف الغالب. أما علاقات محمد مع فلورنسة فقد كانت جيدة وخاصة في الميدان التجاري حيث حصلت فلورنسة على امتيازات وحقوق هامة سنة 1469م. وكذلك الاستبارية في رودس حسب اتفاقية سنة 1479م. بيد أن سياسة محمد تجاه الاستبارية لم تكن سوى مناورة لكسب الوقت استعداداً للهجوم على رودس وإخضاعها، ويبدو أن الاستبارية كانوا يدركون ذلك. وعلى أية حال لا

يوجد ما يدل في نص الاتفاقية على تغيَر جذري في سياسة الدولة العثمانية تجاه التجار الغربيين العاملين في أراضيها.

نعرض الآن للنظرية القائلة بأن اضمحلال النشاط التجاري يرجع إلى السياسة التي انتهجها العثمانيون: هل هناك ما يبرر القول بأن السلطان محمد الثاني اتبع بعد فتح القسطنطينية سياسة اقتصادية جديدة أدت إلى انعكاسات سلبية على الحركة التجارية التي ازدهرت إبان حكم أسلافه؟ إن أحد جوانب هذه السياسة يتصل بالضرائب الجمركية التي سنتطَرق لها الآن، مع العلم بأننا نجهل مقدار الضرائب أو الرسوم الجمركية التي كان التجار الغربيون يسددونها للسلطات العثمانية في القرن الرابع عشر. ثم إن المعاهدة المبرمة بين مراد الأول والجنويين سنة 1387م تشير إلى الضريبة الجمركية المترتبة على التجار الجنويين بعبارة «الضريبة المعتادة» دون اضافة أية تفاصيل[54].لكننا نعلم أن المسلمين كانوا يدفعون 1 بالمئة والخاضعين للجزية 2 بالمئة[55]. كانت هذه النسب تطبق أيضاً على الأقمشة[56] ومعظم السلع الأخرى في كل من صمسون وسينوب سنة 1482م[57]. لكن هذه النسب كانت تُخفَض أحياناً على الأقمشة الواردة إلى بورصة[58][59].

يتضح مما تقدم أن الرسوم الجمركية ارتفعت في وقت ما بعد سنة 1430م من 2 بالمئة إلى 4 أو 5 بالمئة. والذي نُرجَحه أن بايزيد حاول زيادة عائدات السلطنة من الضرائب لا سيما بعد

استيلائه على منتشا وآيدين[60]، بالرغم من أنه وضع بعض القيود على استيراد وتصدير بعض السلع ومن جملتها الحبوب التي منع تصديرها إلى خارج البلاد. لا نستبعد أن تكون زيادة الضرائب الجمركية في عهد مراد الثاني قد واكبت اتساع رقعة مساحة الإمبراطورية. وإحدى الوثائق تبين أن قيمة الضريبة في عهد محمد الثاني لم تختلف عما كانت عليه في عهد سلفه مراد الأول[61]. في أوائل الثمانينات من القرن الخامس عشر نلاحظ أن الأفراد الخاضعين للجزية كانوا ملزمين بدفع 2 بالمائة، على حين كان التجار من غير المسلمين أو الخاضعين للجزية يدفعون 4 بالمائة[62]. خلاصة القول أننا نميل إلى الاعتقاد بأن الضرائب الجمركية لم ترتفع ارتفاعاً يُذكر في عهد السلطان محمد الثاني، ثم إننا لا نجد بين الوثائق المحفوظة ما ينم عن تذمر التجار الجنويين أو إشارة إلى ارتفاع ملحوظ في الضرائب الجمركية[63].

بالإضافة إلى الرسوم الجمركية، خضع التجار الغربيون العاملون في الإمبراطورية لعثمانية إلى قيود أخرى فرضتها الدولة على حركة الاستيراد والتصدير[64] في عهد محمد الثاني وقبله حينما احتكرت الدولة تجارة الأخشاب على سبيل المثال، وباعت حق استثمار الثروة الخشبية في أنطاليا ومصر إلى عدد من الأفراد ولمدد محددة[65]. وكانت هناك قيود على مبيعات الصابون المستورد من الغرب وكذلك على صناعة الصابون في فوتشا[66]. وبعد استيلاء مراد الأول على كوتاهية سنة 1381م،

فُرضت قيود على تصدير أحجار الشبّ مما جعل حكومة البندقية[67] تطلب من سفيرها التوسط لدى السلطان العثماني لتخفيض سعر الشب الذي حدده السلطان[68][69].

عمدت الدولة في عهد بايزيد الذي خلف أباه مراد الأول إلى التحكم بتجارة الحبوب[70]، وفرضت حظراً على تصدير الحبوب سنة 1390م[71] بعد استيلاء العثمانيين على إمارتي منتشا وآيدين[72]. وتلا ذلك حظر تصدير الحبوب من مقدونية[73]. ثمة دلائل على أن تصدير الحبوب في تلك الفترة كان يخضع لقيود معينة شملت حرية اختيار الميناء، كما يتبين من الواقعة التالية: ، تقدم أحد مواطني البندقية بشكوى إلى بودست بيرا، ادعى فيها أن جان دو درابيرس باعه كمية من الحبوب شريطة أن تسلم الشحنة في وقت وموضع محددين واشترط أن يكون تسليم البضاعة في ميناء تشافا أو سكورباته حصراً. وذلك لأن الأنظمة تسمح له بتسلم مثل هذه الكمية من الحبوب في أحد هذين الميناءين[74], لكن البائع لم يتقيد بهذا الشرط حسب قول المدعي. يستشف من هذه الحادثة أنه كانت هناك قيود على تصدير الحبوب من الموانئ التركية الأخرى أو بعضها[75]. لكن أسباب استثناء هذين الميناءين غير واضحة إلا إذا افترضنا أن البائع حدد هذين الميناءين لأسباب شخصية أو بناء على ترتيبات خاصة مع بايزيد أو أحد موظفي الدولة المحليين.

كنا قد أشرنا في فصل سابق إلى حظر التجارة بالحبوب

والأخشاب والخيول سنة 1400م، وجدير بالذكر في هذا السياق أن أمير آيدين أقدم على طلب مساعدة جنوى ودعمها له في حال نازعه أشقاؤه على وراثة السلطنة عندما تحين الساعة[76]. ولضمان هذا العم مستقبلاً أوعز إلى سفيره في كريت بطمأنة البنادقة إلى أنه يمكنهم مزاولة نشاطهم التجاري في الإمارة وشراء ما يشاءون من السلع وتصديرها من بلاده باستثناء السلع الثلاثة التالية: الحبوب والأخشاب والخيول. ويبدو أن حكومة البندقية طلبت بدورها من السلطات في كريت إقناع الأمير برفع الحظر على الخيول والحبوب[77].

نخلص إلى نتيجة مفادها أن السياسة الاقتصادية التي انتهجها محمد الثاني لم تختلف بصورة ملموسة عن السياسات التي اتبعها أسلافه. وعلى ذلك لا نرى ما يبرر ما ذهب إليه البعض من أن سياسة محمد الثاني لعبت دوراً هاماً في انحسار التبادل التجاري بين جنوى والدولة العثمانية. والواقع يشير إلى أن التبادل لم يفتر إبان حكم محمد الثاني وهناك ما يؤكد تردد الإيطاليين إلى البلاط العثماني في عهده[78]. بيد أننا لا ننكر أن النشاط التجاري أخذ يفتر مع اقتراب نهاية القرن الخامس عشر. ولا ننكر أيضا احتمال أن يكون التوسع العسكري العثماني قد أدى في بعض الحالات إلى شلل الحركة التجارية وخاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار فقدان جنوى لبعض مستعمراتها في المنطقة[79]، وأيضاً فرض الجزية على بعض الأقاليم

المفتوحة[80]. لكن هذه الاعتبارات لا تبرر أو تفسر عزوف الجنويين عن مواصلة تجارتهم مع العثمانيين.

خلاصة القول أن اضمحلال التجارة بين جنوى والدولة العثمانية يمكن رده لعوامل أخرى لا علاقة لها بسياسة الدولة العثمانية، وفي مقدمة هذه العوامل توجه الجنويين نحو الأسواق الغنية التي نشأت وازدهرت في أعقاب اكتشاف أمريكا وثرواتها.

مصادر وهوامش الفصل العاشر

1 1453.vii.21 = Piccolomini in Pertusi, Caduta, vol. II, p. 56.

2 NICOI Barbaro. 'Giornale dell'assedio di costantinopoli', in Pertusi, C'aduta, vol. II, p. 35; Nicolo Barbaro, Nicolo Barbaro. The Diary of the Siege of Constantinople 1453, trans. 1. R. Jones (New York, 1969), p. 67.

3 The king of Cyprus sent an ambassador to the pope (Niccola della Tuccia in Pertusi, Caduta, vol. 1, pp. 98-9), the Hospitailcrs approached both the pope (Niccola della Tuccia in Pertusi, Caduta, vol. 1, pp. 98-9) and the margrave of Brandenburg (1453.vi.30 = Agostino Pertusi, Testi ineditj e poco neil sadla caduta di Constantinoploi: Edzione postwna a euro di Antonio Carile, Il mondo medievale. Sezione di storia bizantina e slava (Bologna, 1983), p. 54), and Lauro Quirini wrote to Pope Nicholas V (1453.vii. 15 = Quirini in Pcrtusi, Testi inediti, p. 66), all urging Christian action against the Ottomans (Pertusi. Tcsti inediti, p. 66). See also

4 1453.xii.l0 = Belgrano. 'Documenti', no. 153, pp. 259-61.

5 I 453.viii.23 = Ausilia Roccatagliata, Natal Genovcsi in Oltremare. Atti Rogati a Chic (1453-1454. 1470-1471), 35 (Genoa, 1982), doe. IS, pp. 22-4. 1453.xii.31 Roccatagliata, Chic. dcc. 65, p. 101.

6 Geo Pistarino, 'La caduta di Costantinopoli: da Pera Genovese a Galata Turca', in La Storks Genovest!. Atts dcl C'onvegno di Studi mi Ceti dirigenti nelle istitUzioni della Repubblka di Genova. Genova 12-13-14 Aprile 1984, vol. V, p. 30; Geo Pistarino, 'Tra i Genovesi dell'Oriente Turco dal tramonto del medioevo al prima tempo dell'et moderna', in Atti de1l~Acadernia Ligure di Scienze e Lettere, annata 1986 (Genoa, 1988), vol. XLIII, pp. 204, 208-9; Sandra Origone, 'Genova e I genovesc tra la fine di Bisanzio e i Turchi', in .4tti dell'Academia Ligure di Sdenze e Lettere, annata 1986 (Genoa, 1988), vol. XLIII, p. 390; Sandra Origonc, 'Chic nd tempo della caduta di Castantinopoli', in Saggi e Docwncnti II, Civico Istituto Colombiano, Studi e Testi, Scrie Storica 3 (Genoa. 1982), vol. 1, pp. 148, 149, 196, 197; G. G. Musso, 'Nuovi docutnenti dell'Archjvio di State di Genova sui Genovesi e il Levante nei secondo quattrocento', Rassegna degli Archi'i di Stato 27 (1967), 445. 464, 479; 0. G. Musso, Fonts documentane per la storia di Chio dei genovesi', La Berio 8, 3 (1968)8. 20-

1; Rossana Urbani, 'Note d'archivio sui natal gcnovesi del' 400: l'attivith di Bartolomeo Canessa',LaBerio 1111 (l971),p. ll.

7 Eiiyahu Ashtor states that while Italian trade in the Ottoman empire continued to flourish after 1453, it was not, after the fall, equal to what it had been before: Ashtor, 'Commercio italiano', pp. 44-7; see also Urbani, 'Bartolomeo Canessa', 11; Ausilia Roccatagliata, 'Nuovi documenti su Pera Genovese', in .4tti dcl con vegiao di Studi sui Ceti dirigenti: ndlle isiituz foal della Repubblica di Genova. Geneva 29-30-31, nraggio-1 giugno 1990, vol. XI, p. 129.

8 Pistarino, 'Caduta', p. 36.

9 Babinger. Mehmed p.433.

10 The notary Lorenzo Calvi himself fled after the fall to Chios: Roccatagliata. 'Nuovi documentj'. p. 127.

11 1454.iii.1 1 = Belgrano, 'Documenti~, no. 154, p. 268.

12 1453.viji.23 = Roccatagliata, Chic, no. 18, pp. 22-4. This forms part of a series of documents dealing with a dispute over the sale of a garment: 1453.viii.l8 ibid., no. 14, pp. 19-20; 1453.viii.18 = ibid, no. IS, p. 20; 1453.viii.23 ihid, no. 16, pp. 20-1; 1453.viii.23 (bid, no. 17, p. 22; l453.viii.23 = ibid, no. 19, pp. 24-5.

13 453.viii.23 = Roccatagliata, Uric, no. 18, pp. 22-4.

14 1453.xii.22 Roccatagiiata,_Chic, no._61, pp. 95-8.

15 e.g.l453.xii.31 = Roccatagliata, Chin, no. 66, pp. 102-3, Petro di Cremona and his family were slaves of the Turks in Pera before they managed to escape.

16 Dukas, Historia Byzantine, p. 296, ll. 19-25; Dukas, Historia Turcoby-zantlna, p. 373. 11. 9-13; Dukas. Decline and Fall. p. 230.

17 Dukas, Historia Byzantina, p. 312, 11. 22 - p. 313, l. 2; Dukas, Historia Turcobyzantina, p. 393,11. 12-14; Dukas, Decline and Fall, p. 240.

18 Barbara in Pertusi, Caduta, vol. 11, p. 38; Barbara, Diary, pp. 77-8; 1453.vi.23 = Belgrano, 'Documenti', no. 149, p. 231 (letter from Angelo Giovanni Lomellino, the ex-podestâ).

19 1453.viii.23 = Roccatagliata, Chio, no. 18, pp. 22-4.

20 Dukas, for example, refers to how on the sultan's preparation of a fleet in 1461 for an unknown destination, the Latins of the islands including Chios, Lemnos and Rhodes were in abject fear'. Dukas, Historia

Byzantina, p. 314, ll. 15-18; Dukas, Hlctoria Turcobvzantim,, p. 427, ll. 24-7; Dubs, Decline and Fall, p. 258. Mitylene fell to Mehmed the following year.

21 1454.iii.1 I = Belgrano, 'Documenti', no. 154. p. 266.

22 1453.'cxii>. = ASG, Archivio Segreto, Diversorum, 555, fos. Ir-2r.

23 1455.1.30 = Giovanni da Pontremoli in Domenico Gioffrè, Letter di Giovanni do l'ontrcntoli, mercante Genovese 1453-1459, Collana Storica di Fonti e Studi 33 (Genoa. 1982), no. 27, p. 38.

24 138 1.ii.28 = ASG, Notario, Antonius Feloni, C. 175 fos. I l4r-1 1St.

25 In 1455 the plague was very bad in Thrace and the sultan was on the move to avoid it, leaving Edirne and going to Plovdiv, which he also left as the plague reached the city, and set off for Sofia. Dukas, Historia Byzantina. p. 329, 1. 17 - p. 330, I. 5; Dukas. Historia Tarcobvzgnttina, p.413, ll. 17-26; Dukas, Decline and Fall. p. 251.

26 Sec. for example, the documents enacted in Pera and published by Ausilia Roccatagliata, Natal Genove.ri in Oltremare˜ Atti regalia Pera e Mitilene, vol. 1, Pera (1408-1490), vol. II, M'itilene (1454-1460) (Genoa, 1982).

27 1453.vüi.l6 = Iacopo Bracelli in Giovanni Balbi, L'Epistolario di Iacopo .Bracelli, Collana Storica di Fonti e Studi, 2 (Genoa, 1969). no. 48, p. 103.

28 1453.xii.22 Roccatagliata, Chio, no. 61, p. 96. Giacomo di Portovenere borrowed 65 ltvperpyra to ransom himself; his wife and his sons from the Turks, 1454.i.29 = ibid. no. 93, p. 156 and l454.i.29 = ibid.. no. 94, p. 158.

29 1453.xii.22 = Roccatagliata, Chio, no. 61, p. 96.

30 1453.xi.6 = Roccatagliata, Chic, no. 38, pp. 56-7. Genuine de Saulo had his three bales of cloth opened in Chios before witnesses and an inventory drawn up. This cloth had been sent from Pera, where Genuino had entrusted it to Agostino Nicolao Saccerio, by Oliverio Doria and consigned to Agostino de Franchi. Presumably, as the cloth was opened and the inventory made on 6 November, the cloth was sent from Pens shortly beforehand.

31 1454.1.22 = Roccatagliata. Chio, no. 85, p. 137. Goods and garments of Andrea Campofregoso were redeemed from the Turks for 2,715 Turkish aspers.

32 1454.iii.l = Roccatagliata, C'hio, no. 126, pp. 224-6.

33 1454.i.15 Roccatagliata, ('lila, no. 79, pp. 126-7.

34 l454.ii.26 Roccatagliata, ('bin, no. 121, p. 217.

35 1454.iii. = Belgrano, 'Documenti', 154, pp.168-9

36 1454.ii.4 = Roccatagliata, Chio, no.169, pp. 222-3

37 1454.ii.26 = Roccatagliata, Chio, no. 124, pp. 222-3.

38 The Turk Kadi Hasan (Cagi Cassani) sold a Greek, described as his captive or slave, to two Greeks and an Armenian in Pera in August 1453: l453.viii.4 = Roccatagliata, Pera e Mitilene, vol. I, Pera, no. 53, pp. 138-9.

39 1454.1.15 = Roccatagliata, C/rio, no.79, p. J27.

40 Genoese merchants active in Ottoman territories did use letters of exchange during the reign of Murad II: see 1437.iii.31 = Badoer, Libro, cal. 125, p. 252, cal. 204, p. 411; 1438.iii.3l ibid., ccl. 125, p. 252, cal. 186, p. 375; l437.iv.30 = ibid. cal. 55, p. 110; 1437.ix.2 = ibid, cal. 125, p. 252; l438.xii.3 = ibid., cal. 233, p.468.

41 l453.xii.22 = Roccatagliata, Chic, no.61. pp.95-S.

42 Itnalcik, 'Ticaret tarihine dair vesikalar', no. 4, p. 70, no. 6. p. 71, no. 7, p. 72, no. 8, pp. 72-3. no. 10, p. 74, no. 13, p. 77. no. 16. pp. 78-9. no. 19, p. 80, no. 20, p. 80, no. 25, pp. 82-3
no. 29, pp. 85-6, no. 32, pp. 87-8, no. 34, pp. 88-9, no. 38, p. 94, no. 39, p. 94.

43 1454.iii.l 1 = Belgrano, 'Documenti', no. 154, pp. 261-70.

44 Dubs, Historic Byzantina, p. 265, ll. 10-ll, p. 267, ll. 8-ll, p. 275, ll. 10-20, p. 277, ll. 13-14; Dubs, Hi.ctoria Turcobyzarttina, p. 329,11. 25-6, p. 333, 5-7, p. 343, 1. 28-p. 345, l.4, p. 347, l. 13; Dukas, Decline and Fall, pp. 211.212,217.218.

45 Dukas, Historw Byzantine, p. 278, 1. 8 - p. 279. I. 8; Dukas, Hi.ttoria Turcobyzantina, p. 347, 1.29-p. 349, I. 13; Dukas, Dec/me and Fall, p. 219.

46 l454.iii.ll Belgrano, 'Documenti', no. 154, pp.265-7.

47 The Genoese authorities instructed their ambassadors to Mehmed in 1454 to talk to the Genoese at Mehmed's court, in particular to Francesco de Draperiis, who knew the Turkish court very well: 1454.111.11 = Belgrano, 'Documenti', no. 154, p. 263. Francesco accompanied the Ottoman expedition against Chios and conducted the negotiations between the Turkish forces and the Latin defenders on Kos: Dukas, HLstoria Byzantine, pp. 322, 324; Dukas. Historia

Turcobvzantiuia, p. 405, II. 14-17, p. 407, 11. 25-6; Dukas, Decline a,td Fall, pp. 246-7, 248. Francesco appealed to the Sultan for help over a debt for alum he alleged was owed him by the Chians: Dukas, Historic Byzantine, pp. 327-8; Dukas. Historia Turcobvzant,,ta, p.405.11. 14-17, p. 411,11.19-24; Dukas, Decline and Fall, pp.246-7,250.

48 Dukas, Hl.ctoria Jiyzantina, p. 233, II. 3-8; Dukas. Historia Turcobyzanna, p. 291, II. 3-6; Dukas.
Decline arid FalL p. 191.

49 Dukas, Historic Byzantine, p. 296, 1. 25 - p. 297, 1. 10; Dukas, Historia Turcobyzantttta, -p. 373, II. 13-21; Dukas, Decline and Fall, p. 230.

50 Dukas, Historla Byzantine, p. 313,II. 2-6 Dukas, Historla Turcobyzantina, p.393,11. 12-17;Dukas, Decline and Fall, p. 240; 1453.xii.22 = Roccatagliata, C/ho, no. 61, pp. 96-7.

51 l454.m. 11 = Belgrano, 'Documenti' no. 154, pp.265-7.

52 l453.v.30 = Belgrano, 'Documenti˜, no. 148, pp.226-9.

53 1479.1.25 = F. Miklosich and J. MUller, Acta ci Djplomata Graeca Medil Aevi (Vienna, 1870) vol. III pp 295-8.

54 1387.vi.8 = ASG, Archivio Segreto, Materie Politiche, 2729, no. 26; Fleet, 'Treaty', clause 5, p. 15.

55 Pegolotti, Pratica, pp. 41, 55-7, 58; Zachariadou, Trade and Crusade, 1331.iv.13 doe. l33lM, clause 3, p. 187, 1337.111.9 = iblr-L, doe. 1337A, clauses 7. 13, pp. 191, 192=3, 1353.iv.7 = ibid. doc. l353A, clause 20, p.214, l375.jv.22 = ibid. doc. l375M, clause 21, p. 222, l403.vii.24 = Ibid. doe. 1403M, clause 21. pp. 230-1, 1407.vi.2 i/id, dec. 1407M, clause 20, p. 236, 1414.x.l7 = ibid, doc. l4l4M, clause 3, p. 238 (states that the comerchion on Import and export was to be paid as it had been in the past).

56 1403 = Dennis, 'Treaty'. 79.

57 1437.11.17, 1437.yiii.5 = Badoer, Libro, col. 175, p. 352, cal. 125, p. 253; l438.ix.l8 = ibid, cal. 247, p.496, cal. 175, p. 353; 1438.viji.5 = ibid. cal. 191, p. 384, cal. 175, p. 353.

58 l437.iv.30 = Badoer, Libro, cal. 57, p. 114, dol. 43, p. 87; 1438.viji.18 = i/id, cal. 230, p.462, cal. 89, p. 181; 1439.jji.12 = ibid. cal. 319, p. 640, cal. 244, p. 491.

59 1436.xji.18 = Badoer, Libro, col. 152, p. 306, cal. 44, p. 89.

60 no date = Anhegger and Inalcrk, Kanunname, no. 45, p. 63; Beldiceanu, .4 ci es, vol. I, no. 46, clause 9, p. 135.

61 Babinger, Mehmed, p. 63.

62 Post 1476.i.28 = Anhegger and Inalc,k, Kanunnwne, no. 35, pp. 47-8; Beldiceanu, Actes. vol. 1. no. 36, clauses 2,3,4, pp. 11-14; 1476.j.28/ii.16 = Anhegger and Inalcrk, Kapwnnctn,e, no. 53, p714; Beldiceanu, Actes, vol. 1, no. 54, clauses 2, 3, p. 146.

63 148l.viii.26/ix24 = Anhegger and Inalc,k, Kunu,tname, no. 55, pp. 78-9; Beldiceanu. Actcs, vol.1, no. 56. pp. 151-2.

64 l481.viii.261jx.24 = Anhegger and tnalcik, Kanunno.nre, no. 55, p. 79; Beldiceanu, Actes, vol. r.no. 56, clause l,p. 151.

65 l482.i.20 Anhegger and Inalcik, Kanunname, no. 56, p. 80; Beldiceanu, Actes, vol. 1. no. 57, clause 2. p. 152.

66 1454-63 or 1479-81 = Anhegger and Inalc,k, Kanunname, no. 30, pp. 40-l; Beldiceanu. .4ctes. vol. I. no. 31, clause 2. p. 104.

67 no date = Anhegger and Inalcsk, Kanu,nname, no. 45, p. 63; Bcldiceanu, Acies. vol. 1, no. 46, clause9,p. 135.

68 l4Sl.viii.261ix.24 Anhegger and Inalcsk, Kanunna,ne, no. 55, pp. 78-9; Beldiceanu, Acres, vol. I. no. 56, pp. 151-2; l482.i.20 = Anhegger and Inalcsk, Jsanunnanze, no. 56. p. 80; Beldiccanu, Act es, vol. 1, no. 57, clause 2, p. 152.

69 Inalcik, 'Commerce'. p.47.

70 Inalcik, 'Ticaret tanhine dair vesikalar', no. 9, p. 700; Marie Magdeleine Lefebvre, 'Quinze finnans du Sultan Mebmed Ic Conquérant', Re˜'ue des Etudes Islarniques 39,9(1971), 160-l.

71 1384.vii.22 Thomas (ed.), Diplarnatarium, vol. II, no. 116, p. 194.

72 1390.111.6 = Chrysostomides (ed.), Monurnentp Pelopowzesiaca. no. 68, p. 138. Dukas, Historia Byzantina, p.47. II.11-13; Dukas, Historic Turcobyzantina, p.75,11. 16-17; Dukas, Decline and Fall, p. 81; 1390.vi.28 = Noiret, Documents p. 36, 1396.ii.17 = ibid., p. 74, 1400.viii.16 = ibid pp.110-11.

73 Thiriet, Rornanie véni:ienne. p. 364.

74 1390.111.2 = Musso, Narigazione, no. 5, pp. 236-40: 'ipsis duobus locis comprehensis, ita quad seinper libere dictus Lodisjus a dictis lads de dicta frumenio supradicte quantitatis liberam habeat'.

75 Fleet, 'Grain exports', 286.

76 The emir, described as lord Zalapi (i.e. cejebi), son of Bayezid, is identified by Thiriet as pwbably SUleyman, then governor of Aydrn (Thiriet, Régestes. vol. 11, p. 12). but by Zachariadou as probably Erto˜rul (Zachariadou, 'Ertogrul Bey', p. 158).

77 1400.111.19: Thiriet. Régestes, vol. ii, doc. 988, pp. 12-13; Noiret,Docwnents, pp. 110-11.

78 1454.111.11 = Bclgrano, 'Documcnti', no. 154, p. 263.

79 Apart from the loss of such colonies, there was also the need to defend them. At the end of
1454 the Maona of Chios received permission from the authorities in Genoa to increase
commercial taxes to raise money for defence against the Turks: Giustina Olgiati, '1 Genovesi
in Orientc dopo la caduta di Costantinopoli'. .Studi Balcarnci - Quaderni di Chio 8 (Rome,
1989) 58.

80 Mehmed imposed the cizye when he took Mitylene in 1460, Tursun Bey, The History of Mehnied the C'onqueror by Tursun Beg, ed. Haul Inalcik and Rhoads Murphey (Minneapolis and Chicago, 1978); fo. 102b, 1. 13; Tursun Bey, Tursun Bcy Thrihi-i Ebu'l-Fcth, ed. Mertol Tulum (Istanbul, 1977), P. 120.